المشرق

الامير بشير الكبير المعروف بالمالطي

محاضرة تُليت في نادي كنيسة القديس مارون في بيروت لجمعية القديس يوسف يوم الثلثاء الواقع في ٢٠ ايار سنة ١٩٢٤

بقلم الشيخ سليم خطّار الدحداح

لمّا انتصر السلطان سليم الاول العثماني في مرج دابق سنة ١٥١٥ على ممالك مصر وضمّ سورية ومصر الى السلطنة العثمانية كافأ امراء لبنان الذين كانوا انضمّوا الى جيوشه في ساحة القتال ونصروهُ على اعدائهِ بان اقرّهم على امتيازاتهم وشؤونهم في انحائهم . وكان المتقدّم بين هؤلاء الامراء الامير فخر الدين معن الاول فظلّ هو وابناؤهُ منذ ذلك التاريخ يتوارثون الحكم في جبال الشوف وما جاورها حتى سنة ١٦٩٧ . ففي ١٥ ايلول منها مات الامير احمد آخر حكّامهم في لبنان بدون عقب . وقد كان للامير اختٌ تزوّجها امير راشيا حسين شهاب وابنةٌ اقترنت بامير حاصبيا موسى شهاب

فاجتمع اعيان البلاد من امراء ومشايخ واسفرت مداولاتهم عن انتخاب الامير بشير من راشيا وهو ابن اخت الامير احمد المتوفّى . الّا انّ الحكومة المركزيّة لمّا رُفع اليها الامر حكمت بانتقال الامارة والاموال الى الامير حيدر موسى شهاب من حاصبيا بموجب حقوق الوراثة لانه ابن بنت الحاكم المعنّي المتوفى . وبما انه كان حدثاً لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره استقرّ الرأي على ابقاء الحكم في يد الامير بشير ريثما يبلغ الامير سنّ الرشد ويتمكّن من استلام مقاليد الامور . فساس الامير بشير الاوّل امور البلاد بكل حكمة ودراية تسع سنوات الى سنة وفاته ١٧٠٦

حينئذٍ ضبط الامير حيدر ازمّة الحكم لكنَّ امراء الحزب اليمني وهم اعداء المعنيين من قبله قاموا لمحاربته بيد انه انتصر عليهم وابادهم واندثر من بعده هـذا الحزب وذلك في معركة عين دارة سنة ١٧١١ وطال زمن حكمه فتوفي سنة ١٧٣٢ تاركاً من زوجـاته الشرعيات الاربع تسعـة امراء ذكور ينتسب اليهم جميع الامراء الموجودين حالياً في لبنان الصغير القديم وهذه اسماؤهم :

١-٢ الاميران ملحم واحمد (من زوجته الاولى الشهـابيَّة ولدا قبل اسلامـه حكم الجبل) . ٣ ثم الامير عُمَر (من زوجته الثانية الدرزيَّة والـدة الامير مراد بلمع) . ٤ ثم الامير بشير (من زوجته الثالثة الدرزيَّة ابنة الامير حسين قيديه اللمعي) . ٥-٩ ثم الامراء منصور ويونس ومنجد وحسين(١ وعليّ (٢ من زوجته الرابعة شقيقة زوجته الاولى التي تزوجها بعد وفاة اختها)

وكان حينئذٍ جبل لبنان منقسماً الى قسمين : قسم جنوبيّ يمتدّ من قرب صيدا الى وادي المعاملتين شمالي جونية يُعرف بمعاملة صيداء وكان حاكمه يدعى بحاكم الشرف وكسروان او حاكم جبل الدروز ومرجعه الى والي صيداء وهـذا القسم وحده كان يحكمهُ المعنيّون ثم ورثهُ الشهابيون . وقسم شمالي حدوده من وراء وادي المعاملتين كان يديرهُ امراء ومشايخ يرجع امرهم الى والي طرابلس ويسمّى باسم معامـلة طرابلس

وكان اعظم امراء معاملة صيدا حين تولّاهـا الامير بشير الاول امراء آل تنوخ وآل ارسلان الدروز وفيها كثير من المقدَّمين والمشايخ سيأتي ذكرهم في سياق الكلام

كان امراء آل شهاب من أُسرة اسلاميَّة سنيَّة تنتمي الى بني قريش قبيلة محمّد صاحب الشريعة الاسلامية فيُعَدّون لذلك اعرق شرفاً من المعنيّين وسواهم من وجوه المسلمين في هذه الديار . ولمَّا استلموا الحكم في معاملة صيدا اقتدوا بخطَّة التساهـل التي كان نهجها المعنيون وتقرَّبوا الى نصـارى بلادهم وانتقوا سائر كتبة اسرارهم ومدبّريهم ومهذّبي اولادهم ومنفّذي احكامهم من النصارى وخصوصاً من الموارنة . ولكثرة اختلاطهم بهم وقفوا على مبادئ الدين المسيحي وتعاليمه ودانوا به الواحد

١) من سلالة الامير حسين سعادة الشاب الناهض الامير جميل شهاب ناظر مالية لبنان الكبير حالاً ٢) الامير عليّ اوّل من تنصَّر من الامراء الشهـابيين (راجع مقالتنـا في تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين (في المشرق ١٨[١٩٢٠] : ٥٤٢-٥٤٨)

بعد الآخر وذلك في وقت كان الذلُّ مختصاً فوق النصرانيَّة لا شأن فيه للمسيحي ولا اعتبار يعرّض المسلمَ نفسهُ بتنصره الى اشدّ العذابات والموت. وهذا مما يُبعد الريبة عن غايات بشريَّة حملت هؤلاء الامراء على التنصّر

وقد تعاقب بعد وفاة الامير حيدر سنة ١٧٣٢ على حكم جبل الدروز كلٌّ من الامراء ملحم ثم احمد ومنصور سويةً ثم منصور منفرداً ثم يوسف ثاني ابنـاء ملحم المشار اليه وذلك منذ سنة ١٧٣٢ الى ١٧٨٨ وكان الامير يوسف توفّق منذ سنـة ١٧٧٠ الى ضمّ معاملتي جبل لبنان تحت سلطته فدبّرهما بشدَّة عزمه لكنهُ في السنة ١٧٨٨ وجد نفسهُ عرضة لمقاومة اخوته وثورة الجنبلاطيين ولبغض احمد باشا الجزّار والي عكَّا وصيدا وتيقَّن ان معظم البلاد غير راضية عن حكمه وقد سئم وضجر من المنازعات التي قاساها مدَّة حكمه طال ٢٥ سنة فاشار الى اعيان البلاد ان ينتخبوا لهم حاكماً سواهُ ورشّح لهم الامير بشير بن قاسم عمر وهو اذ ذاك شاب يافع لم يتمّ الحادية والعشرين من عمره. فلمَّا انتخبوه سار الى الجزّار ذاك السفاك الذي كان يلعب باموال وارواح سكان فينيقية وفلسطين. فقبلهُ الجزّار وولّاه على جبل الدروز وذلك سنة ١٢٠٣ هجرية الموافقة للسنة ١٧٨٨ مسيحية وهو الامير بشير الثاني المعروف بالكبير وبالمالطي موضوع كلامنا الآن (١

(١) ساد الحكم الاقطاعي في لبنان منذ عهد الصليبيين وقد تثبّت بتصديق السلطـان سليم العثماني على امتيازات لبنان سنة ١٥١٦. ولمَّا استلم الامير بشير الثاني زمام الحكم سنة ١٧٨٨ كان ذوو الاقطاع في الجبل كما يأتي :

اوَّلاً في معاملة صيداء ابتداءً من الجنوب

١ المشايخ آل جنبـلاط على قضاء جزين الحـالي وناحية الشوفيْن وقسم من ناحية اقليم الخرّوب — ٢ المشايخ آل عماد على الرقوب — ٣ المشايخ آل ابي نكد على المناصف والشحّار (لكنَّهم فقدوا سلطتهم على دير القمر باقامة الحاكم فيها) وتنسة ناحيـة اقليم الخرّوب — ٤ المشايخ آل عبد الملـك على قسم من الجرد — ٥ الامراء آل ارسلان على قسم من الغرب — ٦ المشايخ آل تلحوق على تنسة الغرب. وكلّ هؤلاء من الطائفة الدرزيَّة — ٧ والمشايخ آل الخوري الموارنـة على تنبة الجرد — ٨ الامراء آل شهاب اسرة الحـاكم على السـاحل — ٩ الامراء آل ابي اللمع فروعهم الثلاثة : قايديَّه ومراد وفارس على قضاء المتن الحالي (ما عدا ناحية السـاحل) ومدينة زحلة. وهؤلاء كانوا من الدروز وقد اخذوا يتنصَّرون منذ منتصف الجبل

فمن هو هذا الامير ؟ وما هو ماضيهِ ونسبتهُ الى الامير يوسف ؟ وما هي اعمالهُ مدَّة حكمهِ وكيف انفصل عنهُ واين مات ؟ فهذه سؤالات عوَّلنا على الجواب عنها وكشف النقاب عن حقيقتها لان شهرة الامير بشير في زمن حكمهِ والفخر الذي احرزهُ والبلايا التي اصابتهُ في اواخر حياتهِ قد ولَّدت في نفوس معاصريهِ واخلافهم الشوق الى استطلاع اخبارهِ كما اثارت في اخصامهِ ناثرة الحسد . ولكونهِ كما لبنان خير وشاح من المجد تصدَّى لهُ مناظروهُ ولم يَدَعوا فريَّة الَّا عزوها اليهِ قاصدين بالوقت ذاتهِ ان يَسوموا اهل الجبل خسفاً

١ نسب الامير بشير

قلنا انَّ الامير بشير هو ابن قاسم بن عُمَر الشهابيّ . فجدُّهُ الامير عمر ثالث ابناء الامير حيدر ولدتهُ لهُ زوجتهُ الدرزيَّة التي اقترن بها بعد انتصارهِ في عين داره . ولم تطل مدَّة هذا الامير فانهُ توفّي سنة ١٧٣٦ في الثالثة والعشرين من عمرهِ وتبعتهُ الى القبر بعد قليل زوجتهُ فبقي ابنهما قاسم يتيماً فحضنهُ عمُّهُ الامير ملحم وهو وقتئذٍ حاكم الجبل . فربَّاهُ مع اولادهِ السبعة : محمَّد المولود سنة ١٧٤٤ ويوسف السابق

الثامن عشر الَّا ان حركة تنصّرهم كانت بطيئة وأعرفُ منهم امراء ولدوا دروزاً وتنصّروا في عهدنا — ١٠ المشايخ آل الخازن على نواحي كسروان الاربع الحالية اي الجرود وغوسطا والزوق وجونية اي ما هو معروف بنفس كسروان — ١١ المشايخ آل حبيش على غزير الَّا ان اقامة الامراء في غزير اقدمتهم سلطتهم عليها

ثانياً في معاملة طرابلس

١ المشايخ آل الدحداح على الفتوح وبعض قرى بلاد جبيل (وكانت اقامة اكثرهم في عرامون داخل بلاد كسروان المختصة بآل الخازن) — ٢ المشايخ آل الضاهر على الزاوية (وهذه العائلات الاربع من الموارنة) — ٣ المشايخ آل حماده المتاولة على المنيطرة وشمطار والهرمل

وقد كان كثير من الأُسَر من الدروز والنصارى خلاف من ذكرنا عُرفوا بلقب المشايخ الَّا انها لم تكن تحكم اقطاعات خاصَّة بطريق التوارث مثل هذه التي اوردنا اسماءها وكانت هذه الاسر منقسمة سياسيًّا الى حزبين : اليزبكي وزعيمهُ رئيس المشايخ آل عماد والجنبلاطي وزعيمهُ رئيس آل جنبلاط — وقد كان التكديون ملازمين الحياد يرجّحون كفة الميزان متى ارادوا

ذكرهُ وقاسم سميهِ وسيد احمد وافندي وحيدر . وكان قاسم عمر اكبرهم سنًّا وقد كافأ عمهُ بأن خدمهُ افضل خدمةٍ وعضدهُ على اخويهِ الاميرين احمد ومنصور

ولمَّا مات الامير ملحم اراد الامير منصور ان يستميل اليهِ الامير قاسم عمر لينصرهُ على اخيهِ احمد فقرنهُ باحدى بناتهِ سنة ١٧٦٢ واقطعهُ بلدة غزير فانتقل اليها بعد اقامته سنتين في بشامون في الغرب وتوطنها وحكم فيها وهناك رُزق اولادهُ الثلثة حسناً (١٧٦٥) ثمَّ ابنةً ثمَّ الامير بشيراً موضوع كلامنا الآن سنة (١٧٦٧)

وفي تلك الاثناء كان الامير يوسف تولَّى على معاملة الشمال اي طرابلس فتقرَّب اليهِ عمهُ منصور حاكم الجنوب وزوَّجهُ ابنتهُ الثانية

٢ مولد الامير بشير واوَّل امورهِ

ولد الامير بشير نصرانيًّا لانَّ والدهُ الامير قاسم قبل مولدهِ كان استدعى لديهِ في غزير مطران بيروت الماروني يوسف اسطفان الذي صار بعد ذلك بطريركاً على طائفتهِ وطلب اليهِ ان يعلّمهُ معتقدات الدين الكاثوليكي هو وامرأتهُ وبعد ان فقهها وتحقَّق صحَّتها اقتبل مع زوجتهِ وولديهِ الاكبرين سرّ العماد . وبعد مدَّة ولد الامير بشير فتنصَّر كاهلهِ . ولمَّا ادركت الوفاة في ١٨ نيسان ١٧٦٧ الامير قاسم ترك سائر اهل بيتهِ نصارى كاثوليكيين موارنة

مات الامير قاسم ولم يترك لاولادهِ ثروةً واسعة لكنَّهم لم يكونوا في ضنك من العيش كما اشار اليهِ نجيب افندي باخوس في مقالتهِ عن غزير (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٣١١) حيث زعم انَّ الامير بشير بعد وفاة والدهِ «ترك هذه البلدة في حالة من الشقاء يسوق ناقةً عليها امتعتهُ» وهو كلام لا يقبلهُ العقل ويردُّهُ مقام جدّهِ لأمهِ وكان حاكماً لجبل الدروز وكانت خالتهُ زوجةً حاكم معاملة الشمال . . . وقد اقام لهم جدّهم وصيًّا اعتنى بامرهم . ولمَّا تزوَّجت والدتهم بالامير سيد احمد اخي الامير يوسف نزل بهم الوصيّ الى ساحل بيروت ثمَّ تبعوهُ الى بشامون فمزرعة بيت الدين قريباً من دير القمر حيث كانوا يملكون بعض الارزاق . ولمَّا بلغ الامير بشير اشدَّهُ دخل مع اخيهِ حسن في خدمة الامير يوسف وأبديا في اعمالها الى السنة ١٧٨٨ كل امانة وبذلك تحسَّنت حالتهما وتقدَّما عند الامير

وفي السنة ١٧٨٧ أرسل الامير يوسف الامير بشيراً الى حاصبيا بمأمورية هامة اصاب بها النجاح وهناك تزوج بابنة محمد اخي الامير يوسف الاكبر وكانت مسلمة مثل اهلها وارملة امير شهابي من حاصبيا وهي غنية فاغنت زوجها بمالها لكنه اغناها بدينه ونصرها فصارت مارونية مثله فبارك الله زواجهما ورزقهما ولدهما البكر في تشرين الثاني سنة ١٧٨٨ فدعاه قاسماً باسم ابيه

ومن هذا ترى بُعد المرحوم ندرا بك مطران عن الحقيقة اذ قال في كتابه «سورية الغد» ان الامير بشير كان عقوقاً نحو الامير يوسف رغماً عن انّ هذا كان حضنه واعتنى بجداثته على بعد القرابة التي كانت تربطهما» فيا تُرى اي قرابة اقرب بينهما والامير بشير ابنُ ابنِ عمّ الامير يوسف وابن اخت زوجته وزوج ابنة اخيه . واين عقوقه مع ما نرى من تفضيل الامير يوسف له في اختياره للمأمورية دون سواه اذ رأى نفسه كما قلنا مضايقاً فتنازل له عن الحكم برضاه ورشّحه لولاية الجبل ليس لمجرّد القرابة والكفاءة فقط بل تلبيةً لانتخاب الاعيان ورضى الجزّار (اطلب اخبار الاعيان لطنوس الشدياق ص ٤٢٠ وتاريخ الامير حيدر (ص ٨٥٦ من طبعة مصر) . أفيُنسب العقوق للامير بشير أنْ عاد الامير يوسف بعد ترشيحه وانتخابه نادماً على اعتزاله ومزاحماً له طالباً من الجزّار قتله ليستعيد هو الحكم ؟

٣ حكم الامير بشير (١٧٨٨—١٨٤٠)

حكم الامير بشير ٥٢ سنة ويمكن ان نقسم تلك المدّة الى ثلثة اقسام : القسم الاوّل من السنة ١٧٨٨ الى ١٨٠٧ واكثره في عهد الجزّار . والثاني من ١٨٠٧ الى ١٨٣٢ من توحيد الحكم في الجبل الى الاحتلال المصري . والثالث من ١٨٣٢ الى ١٨٤٠ من دخول المصريين في سورية الى نفي الامير بشير

القسم الاول من السنة ١٧٨٨ الى ١٨٠٧

هي تسع عشرة سنة كان احمد الجزّار يتصرّف فيها بسياسة الجبل وسائر فينيقية على هواه فيرفع ويحطّ ويقدّم ويؤخر لا رادعَ له ولا زاجر ليبتزّ اموال الاهلين ويضعف قواهم المادّية والادبية

وقد اضطرّ الامير بشير في هذه المدّة الى ترك الحكم مرارًا والفرار من الجبل . وقد زُجّ في اثنائها غير مرّة في سجن عكّا هو واخوه وانصاره . نازعه الحكم واغتصبهُ اياه تارةً الامير يوسف ذاته . وتارةً الامير حيدر اصغر اخوة الامير يوسف وابن شقيقها الامير قسمدان شقيق امرأته . وطورًا ابناء خالته اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم بسعي مدبّريهم جرجس وعبدالاحد باز

وفي سنة ١٧٩٩ التجأ الامير بشير الى الكوموذور الانكليزي «سدني سميث» الشهير الذي قاوم بونبارت في حصار عكّا والى الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا القادم الى مصر لطرد الافرنسيين منها . ولم تسفر رحلتهُ هذه رغماً عمّا لقيهُ من الاعزاز والاكرام لمهيما عن نتيجة مرضية لان الجزار بعد نجاته من خطر الافرنسيين لم يكترث بتوصيات واوامر الصدر الاعظم والكوموذور . وقد روى اخبار هذه الرحلة مدبّر الامير الشيخ سلوم الدحداح الذي رافقهُ فيها وقد نشرتُها في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٦٩٧ الخ) . . . الّا ان الله انقذه وانقذ البلاد بوفاة الجزار سنة ١٨٠٤ فنجا الجميع من شرّه . وقد كانت وفاتهُ في اثناء اتفاق جرى بين الامير بشير واولاد الامير يوسف فاستقلّ الاول بالقسم الجنوبيّ ومركزهُ دير القمر والآخرون بالقسم الشمالي ومركزهُ جبيل . لكنّ تدخّل ابني باز بشؤون القسم الجنوبي وتعرّضهما لاعمال الامير هناك والنفوذ العظيم الذي احرزاهُ وما جاهرا بهِ من الاستخفاف بالامير ودُؤوبهما في بثّ الدسائس ضدّهُ كلّ ذلك أثار الخوف في نفسهِ منهما وخشي تقلّب الامراء معلميهم عليهِ فرجّح انّ اقرب وسيلة للتملّص ممّا يحذرهُ إعمالُ السيف والرهبة فتتل الاخوين المدبّرين في يوم واحد وامر بسمل عيون اولاد الامير يوسف واوجب عليهم الاقامة في درعون . فتنكيلهُ هذا ألقى الرعب في قلوب اقاربه وأنصارهم فخافوا بطشه وفتكهُ . واستقلّ في حكومة معاملتي الجبل كافةً

القسم الثاني من توطيد الحكم في الجبل الى الاحتلال المصري (١٨٠٧—١٨٣٢)

صفا الجوّ للامير بشير مدّة ثلاث عشرة سنة (١٨٠٧—١٨٢٠) ونبها تولّى على عكّا رئيسهُ سليمان باشا خالفاً لاسمعيل باشا الذي لم تطل ولايتهُ . وكان سليمان احد ولاة الاتراك المتازين بصفاتهم وكان يحبّ الامير حبًّا خالصاً ويعتبرهُ اشدّ الاعتبار ويجلّهُ كثيرًا . وكذلك الامير بشير لم يضنّ بخدمهِ لحاكم عكّا فاعانهُ في محاربتهِ لوالي الشام

يوسف باشا كنج وفتح اللبنانيون بقيادته عاصمة الشام (١٨١٠) . وفي تلك سنين الراحة وطمأنينة البال تفرّد الامير للمشاريع العظيمة التي اكسبتهُ مجدًا اثيلًا لدى معاصريهِ بما شيَّدهُ من المباني الفخمة في بيت الدين واليها جلب مياه نهر الصفا والى بغير ذلك من اسباب العمران

لكنَّ الامور انقلبت بوفاة سليمان باشا فخلفهُ في ولاية عكَّا الفتى النرُّ عبد الله باشا وكان كثير الطمع ساعياً في جمع المال فاخذ يلقي الفساد بين الناس ليحصل بذلك على الدراهم . فاضطرب الامير لفعلهِ وزاد قلقهُ لمظاهرات واجتماعات ثوريَّة باشرها بعض ذوي الغايات وهي المعروفة بعامّيَّة انطلياس قصدوا بها حَضر سلطة الامير والامتناع عن دفع الضرائب السنويَّة اكثر من مرَّة

وحدث في تلك الاثناء انَّ احد الامراء الشهابيّين ارتدَّ عن النصرانيَّة الى الاسلام وقتل والدهُ وعمَّهُ ثمَّ فرَّ هارباً الى الشام محتمياً من الامير بشير ومدَّعياً بانَّهُ يريد الفتك بهِ لرجوعهِ الى الاسلام . فخاف الامير عقبى الامر وترك الحكم للامير حسن علي وسافر الى حوران لكنَّ مدَّة غيبتهِ لم تطل لأنَّ عبدالله باشا رضي عنهُ وامَّنهُ فعاد الى لبنان

ووافق رجوعهُ الى الجبل عصيان عبدالله باشا على السلطان فزوَّر امرًا من اوامرهِ انخدع بهِ الامير بشير فساعدهُ في محاربة والي الشام فكان الفوز لعبدالله باشا بفضل الجنود اللبنانيَّة حيث كسروا في المرَّة الجيوش الشاميَّة . لكنَّ تزوير عبدالله باشا انكشف سريعاً واعتزل الجنبلاطيُّون عن الامير فاضطرَّ الى الانسحاب والرجوع الى الجبل حيث قمع الثورة المعروفة بعامّيَّة حلفد . لكنهُ خاف من الجيوش العثمانيَّة التي سارت الى لبنان للفتك بهِ ولمحاصرة عكَّا والقبض على عبدالله باشا

فخلع الامير بشير نفسهُ وسلَّم الحكم الى الامير عباس اسعد شهاب وسافر الى القطر المصري ملتجئاً الى محمَّد علي باشا وقد رافقهُ مدبّرهُ الشيخ منصور سلوم الدحداح والشاعر بطرس كرامة وكثير من اعوانهِ الدحادحة وغيرهم . فمهَّد لهُ هذا النفيُ الاختياري سبيلَ التناهم مع جدّ السلالة المصرية والاتفاق معه لما كان يتويه هذا من الدخول في الاقطار السورية واللبنانية (١٨٢٣)

ولمَّا عفا السلطان محمود عن عبدالله باشا بواسطة محمد علي الذي تداخل في الامر

اكراماً للامير عاد هذا الى جبل لبنان عن طريق عكا حيث لقي استقبالاً ملوكياً ويوصوله الى الجبل عزم على الفتك نهائياً بجميع مناوئيه وخاصة بالشيخ بشير جنبلاط الذي كان خزّلهُ بعد موقعة المزّة سيما ان ثروته العظيمة ونفوذه جعلاه صاحب سطوة تهدّد مركز الامير

وكان الشيخ جنبلاط عالماً بان الامير ناقمٌ عليهِ ولذلك سعى بان يثبت الامير عبّاس في تدبير حكومة الجبل . ولمّا عاد الامير بشير من مصر وتحقّق الشيخ ما يكنّهُ صدرهُ من الوغر عليهِ جعل يحرّك الامير عبّاس والاميرين سلمان وفارس سيد احمد ويدفعهم الى محاربة الامير بشير جهاراً وضمّ اليهم الحزبين الجنبلاطي واليزبكي وامدّهم بالاموال فألّفوا جيشاً سار الى بيت الدين ليحاصروا الامير في قصرهِ . لكنّ الامير كان مستعدّاً لاستقبالهم فخيّب آمالهم وردّهم عاجزين عن فتح سرايتهِ وامر ابنهُ الامير خليل بان يخرج الى قتالهم فسار بالجند الى محاربتهم فطردهم وتبعهم ظافراً الى بعقلين وسهول السمقانيّة حتى بلغ المختارة مركزهم الرئيسي فحرقها ودمّر سراية الشيخ جنبلاط وشتّت شملهم . واشار الامير الى حكّام الولايات ليرصدوا المنهزمين فقبضت جيوش الشام على الشيخ بشير واقاربهِ وتبعتهِ من العماديين وساروا بهم الى الشام وعكّا فلقوا فيهما حتفهم ضرباً بالسيف او على اعواد المشانق (١٨٢٥)

وامّا الامراء الثلاثة عباس وسلمان وفارس الطامعين بالحكم فقد انزل بهم الامير عقاباً شديداً فسُملت عيونهم واصبحوا عبرة للمعتبر . فارتاح حينئذٍ من مناوأة جميع اقاربه واصبح شديد البأس حتى التجأ عبدالله باشا الى سيفهِ فساعدهُ في قمع الثائرين عليهِ في فلسطين كما جرى في مسألة سانور (١٨٣٠) فصار الامير مطلق اليد في حكم لبنان وكبير النفوذ في كافة سوريا

وكان في سنة ١٨٢٨ اراد ان يرتاح من عناء الاشغال فسلّم الادارة الى اصغر ابنائه الامير امين وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة فاتخذ هذا مستشاراً له استاذهُ القديم الشاعر بطرس كرامه

القسم الثالث من استيلاء ابرهيم باشا سورية الى نفي الامير بشير

(١٨٣٢ — ١٨٤٠)

هي حقبةٌ وجيزة وقدرُها ثمان سنوات تتناول تاريخ الاحتلال المصري . فعملاً

بالعهود التي كان الامير بشير تعهّد بها حين التجائه الى مصر انضمّ الى الفاتح المصري وساعده على فتح عكا وأسر عبدالله باشا وتدويخ كافّة البلاد السورية . لكنّهُ بسياسته هذه اصبح في يدي الفاتح وطوع امره . وانّما ساعدت محالفتهُ لابرهيم باشا ونفوذهُ لديه على رفع شأن المسيحيين في لبنان وسوريّة فحصلوا على كثير من الحقوق بعد ذلّهم واحتقارهم

وفي سنة ١٨٣٥ ارسل الامير رجال الجبل المسيحيين لمساعدة ابرهيم باشا على فتح اللجا في حوران فكانت تلك الحملة المشؤومة مدعاةً لضغينة دروز حوران على الموارنة ثم زاد الاتراكُ حقدَهم توقُّدًا عند استلامهم البلاد سنة ١٨٤٠ فصار سبباً للحروب الدينية التي ادمت لبنان ولم تزل تدميه منذ ٩٠ عاماً

ثمّ طال عهد الاحتلال المصري واشترك قسم كبير من اللبنانيين المسيحيين واخصُّهم الموارنة مع من حرّكهم تركيا وانكلترة لمناهضة المصريين وعادت تركيا واعلنت الحرب على محمّد علي فأتت اساطيل الدول الاوربية - ما عدا فرنسة — الى سواحل لبنان وانزلت الجنود في جونية وارسل السر عسكر العثماني والسر نابير (Nappier) الانكليزي بلاغاً الى الامير بشير يطلب حضوره خاضعاً عند السرعسكر قبل عشرة ايام مع وعدهما بتقرير حكمهِ على لبنان مدة حياتهِ وحكم ابنائه بعد وفاتهِ والّا فيُعزَل ويُنفى . فاستشار مدبّريهِ الحالي والسابق فكان رأي بطرس كرامة عدم التسليم لئلّا يخرب المصريُّون بيت الدين وامّا الشيخ منصور الدحداح فاشار بالتسليم قائلًا : « اذا هُدمت بيت الدين فالبلاد تعيدها » . ولكن الامير لم يتمكن من التسليم لاحتلال الجيش المصري بيت الدين ولنشتُّت ابنائه واحفاده مع فِرَق الجيش المصري المحتلّة في انحاء البلاد . ولما فرّت العساكر المصرية من الجبل وامكنهُ النزول الى صيدا مسلّماً للدولة العثمانية كانت المهلة المضروبة قد فاتت فأُخذ اسيرًا وأُرسل مع زوجتهِ الثانية واولاده واكثر احفاده وعدد من اتباعهِ منهم الشاعر بطرس كرامة والشيخ موسى الدحداح الى المنفى في جزيرة مالطة ولهذا لُقّب بالمالطي تمييزًا لهُ عن نسيبهِ الذي عيّنهُ السلطان حاكمًا على الجبل خلفاً لهُ ويدعى الامير بشير قاسم ملحم شهاب وهو الثالث والمعروف عند العامّة بابي طحين . وكان سفر الامير الى مالطة في تشرين الاول ١٨٤٠ فيكون مجموع سني حكمهِ مع ما تخلّلها

من حكم الخصام المؤقت اثنتين وخمسين سنة وكان عمره اذ ذاك ٧٣ سنة

٤ آخر أيام الامير بشير

قضى الامير بشير عشر سنوات في المنفى. فاقام مدّةً في جزيرة مالطة حيث كان موضوع اكرام الحكومة الانكليزية والاهلين ثم ضجر من الاقامة هناك فارسل بطرس كرامه الى عاصمة تركية ليرى فيها مجاري الاحوال . فهذا حرّر لهُ ما اقتضهُ بالمجيء الى استنبول وبهِ تمّت غلطته السياسية العظمى التي كان باشر بها يوم تسليم نفسهِ للسر عسكر في صيدا. وكان الأَولى بهِ ان لا ينفصل عن محمّد علي وابنهِ ابراهيم باشا الى ختام الحملة المصريّة لأَنهما على كلّ حال ما كانا ليتركاهُ لو بقي على اتحاده معهما ولكانا اشترطا لهُ مع تركية والدول شروطاً موافقةً لمقامهِ او على الاقل لكانا اخذاه واولاده الى مصر وعاملاهُ بما يليق شخصهُ وكافأَاهُ عن خدمه الجليلة لهما في لبنان وسوريّة ولكنّ استسلامه الى آراء بطرس كرامه قاده الى ما عمل. وبعد ان اقام احد عشر شهرًا في مالطه سافر مع سائر افراد عائلتهِ وحاشيته واتباعه الى استنبول وهناك وقع في شبكة دسائس ومكر الوزراء الاتراك فاصبح ألعوبةً بين ايدي هؤلاء رجال السياسة المشهورين بخداعهم لاكبر ساسة اوربّة. والتزم باس الحكومة العثمانية ان يتنقّل في البلاد فكان تارةً في زعفران بول وتارةً في بروسه في الاناضول وتارةً في العاصمة ذاتها لكنهُ كان اينما حلّ موضوع اعتبار كبار رجال الدول الاجنبية وسفرائها وكبار وزراء الدولة العثمانية. وقد اشتهرت حادثة استقبال الصدر الاعظم لهُ. اخيرًا مات في استنبول في ٢٩ كانون الاول سنة ١٨٥٠ ودُفن في كنيسة الارمن الكاثوليك بعد مأتم حافل جدًّا وقد أَبّنه ورثاهُ الشعراء والخطباء. (١

١) تولّى وظيفة الكاخية اي مدبّر الاحكام (كالكرتير العام في ايّامنا) عند الامير بشير الثاني هؤلاء الآتية اسماؤهم : ١ً فارس ناصيف وجدهون الترك سوية وقد عُزلا سنة ١٧٩٥ — ٢ً الشيخ نجم العقيلي درزي من السمقانية وقد عُزل سنة ١٧٩٧ — ٣ً الشيخ سلوم الدحداح من ١٧٩٧ الى ١٨١٧ لمّا استقال لعجزه وشيخوخته وهو جدّ الكونت رشيد — ٤ً وخلفه ابنه الشيخ منصور الدحداح من ١٨١٧ الى ١٨٢٨ — ٥ً الشاعر بطرس كرامه الشهير من ١٨٢٨ الى ١٨٤٠ رافقهُ الى استنبول ثمّ تعيّن ترجمانًا في قصر السلطان عبد المجيد بعد سنة ١٨٤٣ وبقي الامير العوبةً بخادعهُ واولادهُ الوزراء العثمانيون بمواعيدهم المرقومة !

٥ مذهبهُ واعمالهُ في سبيل الدين المسيحي

سبق ان الامير بشير وُلد مسيحيًّا من والدين مسيحيين مارونيين لا ريب في مارونيَّتهما ونصَّر زوجتهُ الاولى ابنة محمَّد الاخ الاكبر للامير يوسف سلفهِ في الحكومة . وقبرُها في سراي بيت الدين والصليب على قبرها . وكان داعًا لدى الامير في سراي دير القمر ثم في قصر بيت الدين كاهنٌ ماروني لارشاده واتمام واجباتهِ وواجبات آل دارهِ . ولمَّا توفيت زوجتهُ الاولى المشار اليها واحبَّ ان يقترن بالزواج ثانية بغربيةٍ لا يكون لاهلها سبيل للمداخلة في امور الحكم استحضر من استنبول فتاتين شركسيَّتين اعدَّ احداهما زوجةً لهُ والثانية زوجة لبكر اولادهِ الامير قاسم الذي كان قد تزوَّج مثلهُ فاشترط عليهما التنصُّر فأبت خطيبتهُ مصرَّةً على البقاء على مذهبها فوضعها عند ذلك مع إماء القصر وامرها بالنزول الى المطبخ حتى اظهرت رضاها بان تدرس التعاليم المسيحية وكانت تجهل اللغة العربية فاستحضر لها من دير بزمَّار اسقفاً ارمنيًّا كاثوليكيًّا اسمه المطران يعقوب فعلَّمها الديانة المسيحية باللغة التركية وبعد ان تمَّمت واقتبلت سرَّ العماد اتَّخذها الامير زوجةً

ولمَّا نُفي من الجبل وسافر الى مالطة والاستانة والاناضول سار بمعيتهِ الكاهن الماروني مرشد القصر وبقي معهُ حتى توفي مزوَّدًا على يده باسرار الكنيسة . وعاد الكاهن مع ارملتهِ الشركسية وبقي في خدمتها الى موتهِ في الجيَّة من اعمال قضاء الشوف . وقبل ان ينجز الامير بناء قصور بيت الدين شيَّد بجوارها كنيسة جميلة على اسم القديس مارون واقام حولها انطوشاً لسكنى الوكيل البطريركي الماروني على ابرشية صيدا وقد كانت حينئذٍ مختصةً بالسيد البطريرك رأساً . وقد سعى جهدهُ فانتقى لها احد افاضل الكهنة من العائلة البستانية وبتداخله صارت سيامته اسقفاً وهو المطران عبدالله البستاني . وحبًّا منه بتعزيز الموارنة في جنوبي الجبل قد اقنع البطريرك يوسف حبيش بان يحضر الى بيت الدين فكرَّس هو ذاته الكنيسة المذكورة ثم حمله على استبدال ابرشية صيدا بابرشية جبيل والبترون واضحت الاولى ابرشيةً مستقلَّةً وذلك بعد مُصادقة الكرسي الرسولي المقدس (١٨٣٤)

وقد كان سبق له انه تداخل في امر البطريرك يوسف التيَّان لانَّ الامير كان

ناقماً عليه لانحيازه الى أولاد الامير يوسف فاغتنم فرصة انتصاره عليهم وقتله مدبريهم ووجود شكاوى سابقة تقدّمت الى رومية بحقّه فضغط عليه وعلى بعض الاساقفة حتى اضطرّ البطريرك الى الاستقالة (١ وقبل الكرسي الرسولي استقالته (١٨٠٩)

وفي سنة ١٨٢٣ توفّي البطريرك يوحنا الحلو فتداخل الامير بشير مع المجمع الاسقفي الانتخابي . وحمل الاساقفة على اختيار المطران يوسف حبيش مطران طرابلس بطريركاً على الطائفة وقد كان هذا قبل استقفيته مرشداً لعائلة ابن اخيه الامير عبدالله حسن حاكم غزير. وقد أثبتت اعمال هذا البطريرك العظيم حسن فراسة الامير وحقّقت حسن ظنّه به . كلّ ذلك فضلاً عن البراءة الرسولية التي ارسلها السعيد الذكر البابا بيوس السابع جواباً للامير بتاريخ ١٥ شباط ١٨١٧ والمطبوعة تحت عدد ١٩٠ في مجموعة البرآت الحبرية للموارنة يؤيد ويحقق نصرانية الامير وشديد تمسّكه بالمذهب المسيحي الماروني الكاثوليكي المقدّس

وقد اعتنى هذا الامير بالرهبنة اليسوعية . فانه لمّا لم يتمكن المطران مكسيموس مظلوم (قبل ارتقائه الى البطريركيّة) من تأسيس مدرسة اكليريكية في كرسي عين تراز اصبح الابوان اليسوعيان پلانشه وبولس ريكادنّا اللذان كان استحضرهما معه من رومية لادارة المدرسة بدون عمل فاعطاهما الامير قطعةً من اراضيه في معلقة البقاع حيث شيّدا اول اديار رسالة سوريا المجدّدة (١٨٣٤) وساعدهم في بنائه

وقد ساعد القصادَ الرسوليين وهو الذي مكّن من تنفيذ أحكام مجمع اللوزة سنة ١٨١٨ بخصوص اديار الطائفة المارونية واوقاف العائلات الخاصّة

وقد كان شديد المحافظة على كرامة الرؤساء الروحيين والانتصار لهم ولمّا قتل

١) هذا البطريرك هو البطريرك الوحيد من عائلة تيّان المعروفة الآن في بيروت وقد انت اليها من صلبها من قضاء المتن. كما انّ حادثة استقالته بصادقة الكرسي الرسولي هي الوحيدة من هذا النوع في تاريخ بطاركة الموارنة. وقد ادّعى احد المتطفلين على علم التاريخ في بعض جرائد باريس وخلافها ان عند الموارنة كانت البطريركية مقترنة فيما مضى بالسلطة الزمنية فكان البطريرك بوقتٍ واحد امير البلاد والرئيس الروحي الاكبر لها وان هاتين الرتبتين ظلّتا تنتقلان بالارث مدة ستة اجيال في عائلة واحدة هي عائلة تيان من البطريرك الامير الى ابن اخيه جيلاً فجيل الى ان اتصلت بهذا البطريرك المشار اليه وانه هو اعني مختلق هذه البدعة التاريخية اقرب نسيب لهُ وان اخوة البطاركة واقاربهم كانوا يتلقبون بلقب الامارة ! لذلك انتحل لنفسه لقب الامير وراسل الجرائد الفرنسوية حتى تذكر اسمه مرفوقاً بهذا اللقب

الشيخ رستم مرعب الخازن سنة ١٧٩٨ كاهناً من عائلة علّام في جديدة كسروان التي الامير حسن القبض عليه وارسله الى الامير بشير في دير القمر فأمر بقطع يده . وفرّ بنو علّام الى الشرح ماتجئين بعهدة الدحادحة واستوطنوا الكفور

ولمّا قتل ابنـاء ابي كشك المعلوف بطريركهم السيّد اغناطيوس صرّوف سنة ١٨١٢ وفرّا الى قبرس ارسل وراءهما درزيًّا اقنعهما بالعودة الى الجبل وحال رجوعهما القى الامير القبض عليهما وشنقهما في بيت الدين مع والدهما

وفي غضون ذلك ثارت الاضطهـادات في الشام وحلب على الروم الكاثوليك فاستقبل في الجبل العائلات الهاربة منهم وساعدهم وسهّل لهم الاقامة في الزوق ودير القمر وقرى غيرها من لبنان وذلك سنة ١٨١٨ وما يليها

فلا حاجة بعد هذه الادلّـة الى براهين اخرى على تديّن الامير بشير بالمسيحيـة واثباتاً لمارونيته وتفنيداً لقول القائلين عنهُ انهُ لم يكن لهُ دين يُعرف بهِ فيتظـاهر تارة مسيحيًّا وطورًا درزيًّا او مسلماً . وقد كتب بعض الرواتيين الفرنسويين في هذا المعنى اشياء كثيرة اشاعها على خلاف الحقّ

٦ حكمه . عدله . حبّه للشعراء والعلم

كان الامير شديد المحافظة على تقاليد جبل لبنان وعادات اهله وامتيازات ذوي الاقطاع . لكنّ ما اثاروهُ من الفتن ومـا عانهُ من تحزّبات ذوي الاقطاع وعـدم امانتهم أوغر صدرهُ منهم وحملهُ على الغاء امتيازاتهم . فلمّا انتصر انتصارهُ العظيم سنة ١٨٢٥ على منأويه وهدم المختارة واباد خضامهُ واتباعهم حدّثتهُ النفس بالقضاء على حقوق الأسر اللبنانيّة . فرفع يد المشايخ الجنبلاطيين عن مقـاطعاتهم الكثيرة العدد واقام عليها رجالًا من خاصّته حكّاماً موقّتين يعزلهم حين يشاء . منهم يوسف عسّون من دير القمر وحسين حماده الدرزي من بعقلين بعد ان رفعه الى مقام المشايخ . ثم أتبع بقيّة ذوي الاقطاع بالجنبلاطيين فعزلهم جميعاً ونصّب عوضهم امراء من اقاربه او رجالًا من خاصّته في الشويفات وعيتات والعرقوب وبتاتر

أمّا مقاطعة كسروان فانه قد كان نزع حكم الخوازنة عنها فعلًا منذ استلامه الاحكام باقامة اخيه الامير حسن في غزير حتى وفاته سنـة ١٨٠٨ ثم بكر ابنائه

قاسم حتى سنة ١٨٢٣ ثم عبدالله ابن اخيه حسن من سنة ١٨٢٣ الى ١٨٤٠ . ولم يترك لهم الا الرزق . وهكذا فعل في الفتوح بنزع سلطة مشايخ الدحادحة عنها رغماً عن ثقته بهم وكان انتقى منهم اثنين من مدبريه على التعاقب واقام منهم حكاماً ينوبون عنه في البترون والكورة والزاوية وبشري فمهد بحكمها الى احد اقارب بطرس كرامه المسمّى عبّود الدحّان وبهذه الطريقة لم يبقَ احد من ذوي الاقطاع حاكماً في مقاطعاته سنة ١٨٤٠ ما خلا الامراء اللمعيين . فاصبح الامير صاحب الحلّ والربط في جبل لبنان لم يعد يجسر احد على مخالفته والوقوف في وجهه في الخمس عشرة سنة الاخيرة من حكمه فتعزّز وزاد بأسه وشرف الاسم اللبناني في انحاء سوريا حتى عرفي اهل الجبل من دفع الرسوم المطلوبة في مدنها من الغرباء.

وكان الامير بالبناء والبذخ والعظمة فاراد ان يشيّد قصوراً تنطق بسموّ شأنه فترك دير القمر وابتنى له في بيت الدين قصراً شامخاً واسعاً لم يزل حتى الآن طرفة للناظر ومن احسن آثار الهندسة العربية جعله مركزاً لحكومته ومقرّاً لعائلته . وقد بنى بجواره دوراً لاولاده الثلاثة ومنازل للضيوف ولذوي المصالح وعلى الرابية التي تحدّ بيت الدين لجهة الجنوب بنى مصايف معروفة حتى الآن باسم المقاصف . وقد استحضر لها مياه نبع القاع عن مسافة ثلاث ساعات بقناة أجرى بها ان تدعى نهراً فاحيا كثيراً من الاملاك والارزاق وجعل بيت الدين جنّة غنّاء تشهد الى اليوم بفضله وآثار عظمته !

وقد قرّب اليه رجال الادب والشعر واكرمهم وأعلى منزلتهم عنده فاجتمع لديه من مشاهيرهم نقولا الترك واليـاس اده وامـامهم بطرس كرامه والشيخ ناصيف اليازجي . وقد تثقّف اصغر اولاده الامير امين على يدي بطرس كرامه . وسعى لنشر العلوم والمعارف . ولما رأى افتقار النصارى الى علم الفقه وخلوّ لبنـان من متشرّعين ارسل الى صيدا وطرابلس المرحومين الشيخ بشارة الخوري من رشميا وحبيب الخوري من بيت الدين (الشهير بعد ذلك بالمطران يوحنـا حبيب) فاتقنا هناك الفقه والعلوم الشرعية وعادا الى لبنان فولّاهما القضاء في قصر بيت الدين . كذلك لما رأى احتياج لبنان لا بل سوريّة باسرها الى اطبّاء نطاسيين ارسل شبّاناً لبنانيين ليدرسوا الطب في مصر في مدرسة القصر العيني فعادوا بعد حين وكانوا اول الاطباء القانونيين في بلادنا .

وانني اذكر منهم المرحومين الدكاترة يوسف الجاخ وابرهيم النجار المشهور وغالب البعقليني

ونظراً لاستتباب الامن في عهده واشتهار عدالته وحبه للعلم وميله الى تقديم اصحاب العلوم والمعارف فقد تكاثر عدد المدارس في مدة حكمه . ففي ايامه تأسست مدرسة عين ورقة الشهيرة . ثم بعد مدة تحولت ادبرة الرومية ومار عبدا هرهريا ورينون الى مدارس اكليريكية بطريركية وقد خرج منها عدد عظيم من البطاركة والاساقفة والكهنة والعلماء في كافة العلوم

وفي ايامه (١٨٣٤) اسس المرسلون اللازاريون مدرسة في ديرهم في عينطوره كسروان وهي التي لم تزل مشتهرة حتى اليوم بمشاهير الرجال الذين تلقوا علومهم فيها

وقد كثر عدد مشاهير السياح الاوروبيين وخلافهم القادمين لزيارته في لبنان وكان يتلقاهم الامير بالرحب والسعة فيعودون الى بلادهم وينشرون محامده . منهم لامارتين الشاعر والسياسي الفرنسوي الشهير الذي زاره في بيت الدين في تشرين الاول ١٨٣٢ فوصفهُ في كتابه «سياحة في المشرق» واطنب في حسن استقباله

وكان الامير بشير ساهراً على عمران البلاد فوصل بيت الدين بكافة اطراف الجبل بطرقات كان يُعنى باصلاحها وترميمها وشيَّد الجسور امتها جسر الدامور وجسر نهر الكلب شيّده سنة ١٨٠٩ ثم جدده سنة ١٨١٢ وهو لم يزل حتى الآن يسخر بالعواصف والامطار

وقد حذا الامير حسن حذوه في غزير فابتنى لهُ قصراً واشتراه بعدئذٍ الاباء اليسوعيون واقاموا فيه مدرسة من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٧٥ وهو الآن من اكبر اديارهم في هذه البلاد وبنى محلًا للتجارة معروف باسم قيسارية . وبعد وفاته اقتدى به ابنه الامير عبدالله فشيَّد مصيفاً كبيراً صار منذ سنة ١٨٨٠ مدرسة معروفة باسم المزار

وقد ساد الامن في عهد الامير بشير واشتهر في عدالته امَّا ما يُنسب اليه من الظلم والقساوة البربرية فهذا فيه تحامل ظاهر لان في كل اعمال حكمه لم ينسب اليه تنكيل المحكوم عليهم والمتَّهمين او التمثيل بهم الَّا في حادثتي الامراء اولاد الامير يوسف ومدبّريهم ابني باز سنة ١٨٠٧ وابني الامير سيد احمد ورفيقهما الامير عباس اسعد سنة ١٨٢٥ . فقد بيَّنا انهُ لم يأتِ هذين العملين الَّا مرغوماً مضطرًّا خوفاً من

مزاحمتهم له ونجاةً من مكائدهم اذ كانوا يطلبون قتله والفتك به وبذويه كما تبيّن له ذلك اذ كان سجيناً في عكا. وهب انهُ افرط في تنكيلهم فلهُ اسوة بشرائع عصره والعادات الجارية في زمانه في الدول المتمدّنة عينها كانكلترّة والنمسة. ولاسيما انهُ كان يرى امراء لبنان يأتون من الاعمال الهمجيّة ما تقشعرّ لهُ الابدان كالامير يوسف الذي قتل بيدهِ احد اخوتهِ وسمل عيني اخيه سيد احمد وفتك بأحد اخوالهِ واماتَ الآخر في السجن (لهُ صلة)

مرصد كسارا في لبنان

ملخص عن تأليف جديد

للاب ب. برلوتي اليسوعي *

مقدمة

كانت غاية القديس اغناطيوس دي لويولا في انشائهِ رهبانيّتهُ ان يتفرّغ ابناؤها لخدمة الدين والعلم معاً. وكانت اذ ذاك نهضة العلوم الفلكيّة في اوّل نشأتها فدخل اليسوعيّون في تلك الحلبة ولم يلبثوا أن جروا فيها جرْي سباق الخيل فنالوا لهم اسماً مخلّداً في خدمة الآثار الفلكيّة كفى دليلاً على قولنا ذكر البعض منهم كالآباء كلافيوس وشَينر وبوسكوفتش. ولمّا أُلغيت الرهبانيّة اليسوعيّة سنة ١٧٧٣ كان اليسوعيّون وحدهم متولّين ادارة ثلاثين مرصداً اعني نحو ربع المراصد للنشأة في ذلك الزمان في العمور

* ANNALES DE L'OBSERVATOIRE DE KSARA (Liban) publiées par les soins du Directeur, le R. P. Berloty S. J. Docteur ès-Sciences. MÉMOIRES, T. I. 1921. Notice Historique sur l'Observatoire, *gr. in-4°, pp.* 68, 16 *Planches, Imprimerie Catholique*